

الحلقة الثامنة

يعقوب يخشى على بنيه الحسد فيأمرهم ألا يدخلو مصر

من باب واحد

يوسف يهمس لنيامين : أنا أخوك

مؤامرة يوسف لتأخير أخيه بنيامين عنده تنفيذ

المؤامرة

إتهام بنيامين بالسرقة وأخذه بها

الآيات القرآنية التي صيغ منها شعر الحلقة الثامنة

﴿ وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ (٦٧) وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةٌ فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لَمَّا عَلِمَهَا لَكُنَّ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٦٨) وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبَشِّرْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (٦٩) فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَتَيْهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ﴾ (٧٠) قَالُوا وَأَقْبِلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقَدُونَ ﴾ (٧١) قَالُوا نَفَقْدُ صَوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴾ (٧٢) قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ﴾ (٧٣) قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ ﴾ (٧٤) قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وَجَدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴾ (٧٥) فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرِجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كَدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ (٧٦) .

أشعار الحلقة الثامنة

- ١ قد أقسم الابناء للشيخ الكبير ليستكين
- ٢ من ثم قال : تاكلوا ، والله للمتوكلين
- ٣ فلتذهبوا ، يركاكم المولى ، فكونوا مخلصين
- ٤ لكن سأوصيكم فكونوا للوصية حافظين
- ٥ لا تدخلوا مصر العزيزة هكذا متجمعين
- ٦ ولتدخلوا متفرقين ، أخاف عين الحاسدين
- ٧ ما شاءه المولى يكون ، قضاء رب العالمين
- ٨ هو قادر هو قاهر ، هو مالك دنيا ودين
- ٩ هو صاحب الحكم الذى نرضاه كلاً طائعين
- ١٠ ربي عليه توكللى ذاكم شعار المؤمنين
- ١١ إن التوكل من صفات المؤمنين العارفين
- ١٢ ذهبوا وقد أخذوا أخاهم ، لم يعودوا خائبين
- ١٣ عادوا لمصر لكى يؤدوا ما عليهم مسرعين
- ١٤ وصلوا هنالك أرض مصر مع الوفود الذاهبين
- ١٥ دخلوا كما أمروا فكانوا بالوصية عاملين
- ١٦ رأياً رآه الشيخ ، ما كانوا له مستغربين
- ١٧ هى حاجة فى نفسه أفضى بها ، هذا يقين
- ١٨ أعطاه رب العرش علماً فوق علم الآخرين
- ١٩ لله درك أرض مصر بكل خير تنعمين
- ٢٠ قد كنت دوماً بالسيادة والحضارة تُعرفين
- ٢١ النيل فيك هو الحياة عطاء رب العالمين
- ٢٢ ولأنت أم الشرق دوماً مثل أم للبنين
- ٢٣ تعطينه من كل شئ ، لا بشئ تبخلين
- ٢٤ لولاك مات الشرق جوعاً منذ آلاف السنين
- ٢٥ لولاك صار الشرق نهباً للغزاة الفاتحين
- ٢٦ واستقبل الصديق إخوته بشوق مع حنين
- ٢٧ دخلوا عليه فمال نحو أخيه ميل الهامسين

- أوحى له ، إنى أخوك ، وصرت فى أمن أمن ٢٨
 من فعلهم فيما مضى ، لا تبتس من حاقدين ٢٩
 قد أنزل الصديق إخوته نزول المكرمين ٣٠
 أعطى لهم ما قد أتوا من أجله متكاملين ٣١
 أعطى لكل منهمو حملاً فصاروا شاكرين ٣٢
 قد جهزوا أوثاقهم برأٍ لطعم الجائعين ٣٣
 لم يبق إلا أن يعودوا بالغنيمة ظافرين ٣٤
 لكن يوسف كان من أعماقه سرٌّ دفين ٣٥
 السر يعلمه إله العرش رب العالمين ٣٦
 ينو بأن يبقى أخاه بحيلة لا تستبين ٣٧
 أوحى إلى غلمانه قولاً فصاروا فاهمين ٣٨
 قد غافلوا إخوانه فى خفة التسليين ٣٩
 فى رحل بنيامين قد أخفوا الصواع مخبئين ٤٠
 إخوان يوسف قد تنادوا للرحيل مبادرين ٤١
 وإذا المنادى فى الوفود وصوته كالمندرين ٤٢
 نادى على كل القوافل قائلاً : يا سارقين ٤٣
 لا ترحلوا حتى نراكم باحثين ونستبين ٤٤
 شيئاً ثميناً قد فقدنا ، فاعلموا العلم اليقين ٤٥
 إخوان يوسف ساءهم ، قول المنادى المستهين ٤٦
 قالوا له : ماذا تريد ؟! تساؤل المستفهمين ٤٧
 ماذا فقدتم ! أخبرونا . . ! ولتكونوا صادقين ٤٨
 لا ، لا تسيثوا الظن فينا ، لا تكونوا مفتيرين ٤٩
 قالوا : فقدنا غالباً ، فلذا غدونا سائلين ٥٠
 ذاكم صواع للمليك ، وإنه شئٌ ثمين ٥١
 من رده ، فلسوف نشكره بأسلوب مبين ٥٢
 وينال أيضاً حملٌ برّ فوق حمل الوافدين ٥٣
 ولسوف نوفى ، لن نكون لما وعدنا جاحدين ٥٤
 قالوا لهم : تالله ما كنا جميعاً مفسدين ٥٥
 نحن الكرام بنو الكرام من الجدود الأولين ٥٦
 أفما علمتم أننا من آل بيت المرسلين ؟! ٥٧

٥٨ لسنّا بحمد الله خوّانًا ، ولسنّا سارقين
 ٥٩ قالوا : فإنّا سوف نبحث فى الرحال مفتشين
 ٦٠ إذما وجدنا صاعنا فى رَحْل أحد الوافدين
 ٦١ ماذا يكون جزاؤه ؟! فلتحكموا الحكم الأمين
 ٦٢ إخوان يوسف قد أجابوا حيث كانوا غاضبين
 ٦٣ هذى الرحال ففتشوها ، إن تشاءوا باحثين
 ٦٤ إذا ما وجدتم صاعكم فى رحل أحد السامعين !
 ٦٥ فلتأخذوه به لكى يعجزى جزاء الخائنين
 ٦٦ قد سرّ يوسف من إجابتهم سرور الفائزين
 ٦٧ من ثم صار يُفتش الأحمال تفتيش الأمين
 ٦٨ بدءاً بأمّتعة الكبار ، لكى يظّلوا غافلين
 ٦٩ فى رحل بنيامين كانت دهشة للناظرين
 ٧٠ وجدوا الصواع مُخبأً فى رحله ، هذا يقين !!
 ٧١ من أجل ما يبغيه يوسف صار كالمتمّارين
 ٧٢ تلكم إرادته تلاقى مع إله العالمين
 ٧٣ لا ينبغى أخذ البرىء كأخذ بعض المجرمين
 ٧٤ لكن إذا شاء الإله ، فقف وقوف الخاشعين
 ٧٥ الله يرفع من يشاء إلى مقام المحسنين
 ٧٦ العلم ليس له كبير ، فاعلموا العلم اليقين
 ٧٧ قد تم ما يبغيه يوسف ، إنه كيد متين
 ٧٨ لكنه كيدٌ أصاب أخاه دون الآخرين
 ٧٩ أخذوه أخذة سارق ، والكل كانوا ناظرين
 ٨٠ الكل يفغر فاه دهشًا ، إنه حقًا أهين
 ٨١ إذ كون بنيامين يسرق ، قد غدوا مستغربين
 ٨٢ صاروا حيارى ، إنهم بالغيب ليسوا عالمين
 ٨٣ هم فى تحيرهم ويوسف فى سرور ، لا يُبين
 ٨٤ إذ أن يوسف كان محزونًا لعشرات السنين
 ٨٥ وبقاء بنيامين سوف يُبدد الحزن الدفين
 ٨٦ أخوان كانا مبعدين ، فأصبحا متقاربين
 ٨٧ رب السماء هو القدير ، ليجمع المتفرقين

يعقوب يخشى على أولاده الحسد

﴿ وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ ... ﴾

قد أقسم الأبناء للشيخ الكبير ليستكين ١
من ثم قال : توكّلوا ، والله للمتوكّلين ٢
فلتذهبوا ، يركبكم المولى ، فكونوا مخلصين ٣
لكن سأوصيكم فكونوا للوصية حافظين ٤
لا تدخلوا مصر العزيزة هكذا متجمعين ٥
ولتدخلوا متفرقين ، أخاف عين الحاسدين ٦

لقد أقسم أبناء يعقوب، أمام أبيهم، أقسموا له أن يحافظوا على أخيه بنيامين ، ولن يفرطوا فيه، ولن يعودوا بغيره، إلا أن يكونوا مغلوبين لقوة أكبر وأقوى من قوتهم. بعد أن أقسموا ، قال لهم : ﴿ قَالَ اللَّهُ عَلَيَّ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴾ توكّلوا على الله اذهبوا ، يركبكم الله. ثم أردف قائلاً: لكن قبل أن تبرحوا، أريد أن أوصيكم وصية، أن تحفظوها وتعملوها بها ، فهل أنتم مستعدون لتنفيذ ما أوصيكم به ؟! قالوا جميعاً : نعم يا أبانا ، فوصيتك سوف نحترمها ، وبإذن الله سوف نقوم بتنفيذها .. فما هي تلك الوصية يا أبانا ؟! .
قال : عندي فصولكم أبواب مصر ، لا تدخلوا كلكم من باب واحد ، ولكن ادخلوا من أبواب متفرقة ، فأنتم يا بني كثيرون ، وذوو هيئات وسمت حسن ، فضلاً عن كونكم أبناء رجل واحد .. لذا فأنا أخشى عليكم عيون الحاسدين .
قال القرطبي في تفسيره : « لما عزموا على الخروج ، خشى عليهم العين ، فأمرهم ألا يدخلوا مصر من باب واحد ، وكانت مصر لها أربعة أبواب ، وإنما خاف عليهم العين لكونهم أحد عشر رجلاً ، لرجل واحد ، وكانوا أهل جمال وكمال وبسطه »
قال القاضي بياض في تفسيره : ﴿ وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ ﴾ لأنهم كانوا ذوى جمال أوبهة ، مشتهرين في مصر بالقربة والكرامة عند الملك ، فخاف عليهم أن يدخلوا كوكبة واحدة فيعانونا ، ولعله لم يوصهم بذلك في الكرة الأولى، لأنهم كانوا مجهولين حينئذ .. وكان الداعى إليها ، خوفه على بنيامين ، وللنفس آثار ، منها : العين ، والذي يدل عليه قوله عليه الصلاة والسلام في عودته : « اللهم إني أعوذ بكلمات الله التامة ، من كل شيطان وهامة ، ومن كل عين لامة » .
قلت : ولهذا السبب كان رسول الله ﷺ ، يأمر العائن بالوضوء ، ومن أصابته العين بالإغتسال من ماء وضوء العائن .

يعقوب يتوكل على الله

﴿ وَمَا أَغْنَىٰ عَنْكُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ (٦٧) .

ما شاءه المولى يكون ، قضاء رب العالمين ٧
هو قادر هو قاهر ، هو مالك دنيا ودين ٨
هو صاحب الحكم الذى نرضاه كلاً طائعين ٩
ربى عليه توكلت ذاكم شعار المؤمنين ١٠
إن التوكل من صفات المؤمنين العارفين ١١

وهكذا ، لقد خاف نبي الله يعقوب ، على بنيه عيون الحاسدين ، فأوصاهم وصيته الخالدة التى سجلها القرآن الكريم ، هى : ﴿ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ ﴾ ولا غرو ، فالعين حق كما أخبر بذلك المعصوم محمد ﷺ حيث قال : « إن العين لتدخل الرجل القبر ، والجمل القدر » .

وقد روى مالك عن محمد بن أبى أمامة : سهل بن حنيف ، أنه سمع أباه يقول : اغتسل أبى سهل بن حنيف بالخرار - ماء بالمدينة - فتزع جبة كانت عليه ، وعامر بن ربيعة ينظر قال : وكان سهل رجلاً أبيض ، حسن الجلد ، قال فقال له عامر بن ربيعة : ما رأيت كالיום ، ولا جلد عذراء !! فوعك سهل مكانه ، واشتد وعكه ، فأتى رسول الله ﷺ ، فأخبره أن سهلاً وعك ، وأنه غير رائح معك يا رسول الله . . فاتاه رسول الله ﷺ ، فأخبره سهل بالذى كان من شأن عامر ، فقال رسول الله ﷺ : « علام يقتل أحدكم أخاه ؟! ألا برئت ؟! إن العين حق ، توضع له » فتوضأ عامر ، فراح سهل مع رسول الله ﷺ ليس به بأس .

وفى رواية « اغتسل » فغسل له عامر وجهه ويديه ومرفقيه وركبتيه ، وأطراف رجله ، وداخل إزاره فى قدح وصب عليه ، فراح سهل مع رسول الله ﷺ ليس به

بأس . . لذلك وجب على كل مسلم ، إذا رأى شيئاً أعجبه أن يبرك أن يقول : بارك الله فيه ، تأثير العين يبطل بإذن الله (١) .

قال ابن كثير فى تفسيره : ﴿ وَمَا أَغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ أى هذا الاحتراز لا يرد قدر الله وقضائه ، فإن الله إذا أراد شيئاً ، لا يخالف ولا يمانع ﴿ إِنَّ الْحُكْمُ لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ .

وقال الشيخ محمد على الصابونى فى « مع أعلام المفسرين » أى لا أَدفع عنكم بتدبيرى شيئاً مما قضاه الله عليكم ، فإن الحذر لا يمنع القدر ، ما الحكم إلا لله جل وعلا وحده ، لا يشاركه أحد ، ولا يمانعه أحد ، عليه وحده اعتمدت : وبه وثقت ، وعليه فليعتمد أهل التوكل والإيمان وليفوضوا أمورهم إليه .

أبناء يعقوب يعملون بوصية أبيهم

﴿ وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةٌ فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لَمَّا عَلِمَانَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٦٨) .

ذهبوا وقد أخذوا أخاهم ، لم يعودوا خائبين ١٢
عادوا لمصر لكى يؤدوا ما عليهم مسرعين ١٣
وصلوا هنالك أرض مصر مع الوفود الذاهبين ١٤
دخلوا كما أمروا فكانوا بالوصية عاملين ١٥
رأيًا رآه الشيخ ، ما كانوا له مستغربين ١٦

لقد تحركت قافلة أبناء يعقوب ، وبارحت الديار متجهة صوب مصر ، وكم كانت فرحة أبناء يعقوب، لكون أبيهم تنازل عن رأيه الأول ، الذى أبداه وأجاب به لأول وهلة على طلبهم ، من أنه لن يرسل ولده بنيامين معهم . لقد تنازل الشيخ عن رأيه لاعتناعه بحجة بنيه ، فمن ثم وافق وأرسل بنيامين مع إخوته . عادوا إلى مصر يغذون السير مسرعين ، يريدون الوصول إلى مصر بأسرع من سير الإبل ، يريدون رؤية عزيز مصر ، ذلك الذى أكرمهم وأحسن إليهم ، إنهم يشعرون بميل شديد من أعماقهم ، نحو هذا الرجل لا يدرون ما أسبابه، ذلك لأنه أكبر وأقوى مما يسببه إكرامه لهم فى المرة الماضية . على كل حال ، إن تعجلهم الوصول إلى مصر ، فى ظاهره له سببان اثنان هما : الأمانة، والصدق . وأما الأمانة فهى رد البضاعة التى وجدوها فى أمتعتهم عند عودتهم إلى ديارهم ، وهى ثمن أوثاق الطعام التى أخذوها . وأما الصدق فهو ، تقديم أخيهم الحادى عشر ، الذى أخبروا العزيز عنه ، فصدقهم وأعطاهم لأجله حمل بعير ، برغم عدم وجوده معهم ، على أن يأتوا به معهم عند عودتهم للميرة مرة ثانية .

وعند وصولهم مصر، دخلوا متفرقين من أبواب متعددة، كما أوصاهم أبوهم ، وقد كانت تلك الوصية من نبي الله يعقوب، ترجمة لما يعتمل فى أعماق نفسه، وفى هذا المعنى يقول الأستاذ عبد الكريم الخطيب فى كتابه «القصص القرآنى»: «وأيًا كان الأمر، فإنه شعور الأب الذى يتخوف على أبنائه ، نسيمات الريح ، حين تهب عليهم ، فكيف وهم على سفر طويل ، وفى يد غربة بعيدة ؟! ثم كيف وفجيئته فى يوسف ، لاتزال تفرى كبده ، ثم ها هى ذى فجیعة أخرى ، تكاد تتمثل له فى ابنه الآخر : شقيق يوسف ؟!

يعقوب على علم بالله

﴿ وَإِنَّهُ لَدُوْ عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٦٨)

هى حاجة فى نفسه أفضى بها ، هذا يقين ١٧
أعطاه رب العرش علماً فوق علم الآخرين ١٨

قال الفخر الرازى فى قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ لَدُوْ عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ ﴾ فقال الواحدى :
يحتمل أن تكون - ما - مصدرية ، والهاء عائدة إلى يعقوب ، والتقدير : وإنه لدو علم
من أجل تعليمنا إياه ، ويمكن أن تكون - ما - بمعنى الذى ، والهاء عائدة إليها ،
والتأويل ، وإنه لدو علم للشيء الذى علمناه ، يعنى أنا لما علمناه شيئاً ، حصل له
العلم بذلك الشيء ، وفى الآية قولان آخران :

الأول : أن المراد بالعلم ، الحفظ ، أى إنه لدو حفظ لما علمناه ومراقبة له .

الثانى : لدو علم لفوائد ما علمناه ، وحسن آثاره وهو إشارة إلى كونه عاملاً بما
علمه ، ثم قال تعالى : ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ .
وفيه وجهان :

الأول : ولكن أكثر الناس لا يعلمون مثل ما علم يعقوب .

الثانى : لا يعلمون أن يعقوب بهذه الصفة والعلم ، والمراد بأكثر الناس ،
المشركون ، فإنهم لا يعلمون بأن الله كيف أرشد أوليائه ، إلى العلوم التى تنفعهم فى
الدنيا والآخرة .

يقول صاحب كتاب « تأملات فى سورة يوسف » : ولو أنه تعالى قدر عليهم
سوءاً ، لما نفعتهم نصيحة والدهم وعملهم بها ، ولكن الآية تنص صراحة ، على أن
نصيحة يعقوب وتحذيرهم من العين ، كان من عالم الغيب والشهادة ، ومن علمه تعالى
الذى علمه يعقوب ، فعمل به .

إن يعقوب لم يكن ليكتم علماً على البارئ إياه ، عن أى مخلوق ، فكيف إذا كان
المتنفع من ذلك العلم أبناءه ! .

﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ تنص على أن قليلاً من الناس فقط، هم المؤمنون ، الذين يؤمنون بهذا القرآن ، وبكل ما جاء فيه ، يعلمون ما علمه يعقوب ، من الجمع بين الأخذ بالأسباب ، وبين التوكل ، أما جمهور الناس ، فهم عن هذا غافلون .

قال القرطبي في تفسيره : ﴿وَأَنَّهُ لَدُوْ عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ ﴾ أى بأمر دينه ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ أى لا يعلمون ما يعلم يعقوب ﷺ من أمر دينه .

وقيل: ﴿ لَدُوْ عِلْمٍ ﴾ أى عمل، فإن العلم أول أسباب العمل ، فسمى بما هو بسببه .

النيل : شريان الحياة فى مصر

لله درك أرض مصر بكل خير تنعمين ١٩
 قد كنت دوما بالسيادة والحضارة تُعرفين ٢٠
 النيل فيك هو الحياة عطاء رب العالمين ٢١
 ولأنت أم الشرق دوماً مثل أم للبنين ٢٢
 تعطينه من كل شيء ، لا بشيء تبخلين ٢٣
 لولاك مات الشرق جوعاً منذ آلاف السنين ٢٤
 لولاك صار الشرق نهباً للغزاة الفاتحين ٢٥

يا مصر! يا أرض الخصب والخير والنماء ، يا أرض الوفاء والعطاء ، يا أرض السيادة والحضارة منذ القدم ، فى حين كانت الأمم كلها ، تحيا حياة الفوضى ، إذ لا قانون ولا دستور ، جهالة جاهلية ، لا حضارة ولا مدنية .. وإنما هى شريعة الغاب .

إن الله وهب النيل لمصر، فهو شريان الحياة فيها . هو معطاء دائماً . هو عطاء الخالق العظيم، لشعب مصر العظيم، الذى لا يكف عن العطاء، فى كل أحواله ، فى السراء وفى الضراء . إن مصر بشعبها العظيم المتمدين المتحضر، استحققت أن تكون سيدة للشرق كله ، ولا غرو فالشرق بغير مصر، لا يمكن أن يقف فى مواجهة الأمم التى تنظر إليه على أنه غنيمة، يريدون أن يقتسموها فيما بينهم .. لقد أشار المصطفى محمد ﷺ إلى هذا المعنى حيث قال: «توشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة على قصعتها، قالوا: وهل من قلة نحن يومئذ يا رسول الله؟! قال: لا، بل أنتم يومئذ كثير، ولكن تكونون غناء كغناء السيل، ولينتزعن الله من قلوب عدوكم المهابة منكم، وليقذفن فى قلوبكم الوهن، قالوا: وما الوهن يا رسول الله؟! قال: حب الدنيا وكراهية الموت. ولا غرو، فمصر كانت ولا تزال، هى القلعة الحصينة التى تتهاوى دون أسوارها كل غارات المغيرين ، الذين يريدون التهام الشرق ، على مدى أحقاب التاريخ . إن مصر دائماً بالنسبة للشرق العربى ، تشبه الأم الحانية .. والأم دائماً تعطى ، لا تبخل بشيء مطلقاً ، تعطى كل شيء ، ولا تنتظر شيئاً .

وفى هذه القصة، دليل أكيد على صدق هذا المعنى، فلولا مصر، وخير مصر ، لمات الشرق جوعاً وذلك فى ظل سنى الجذب، السبع التى عمت بلاد الشرق، حيث هرع الناس من أنحاء الشرق، يطلبون الغوث، فوجدوه فى مصر . وكما هرعوا إلى مصر لأجل الطعام، فهم طالما هرعوا ولا يزالون يهرعون إليها لدرء خطر الغزاة والمغيرين فى كل زمان .

يوسف يهمس لبنيامين : أنا أخوك

﴿ وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا

يَعْمَلُونَ ﴾ (٦٩) .

واستقبل الصديق إخوته بشوق مع حنين ٢٦

دخلوا عليه فمال نحو أخيه ميل الهامسين ٢٧

أوحى له ، إنسى أخوك ، وصرت فى أمن أمين ٢٨

من فعلهم فيما مضى ، لا تبتئس من حاقدين ٢٩

وصل أبناء يعقوب مصر ، ودخلوا المكان الذى يتم فيه نزول الوفود القادمة من كل أنحاء البلاد ، لأجل الميرة . . وقد كان يوسف الصديق ينتظر قدومهم بفارغ الصبر ، فهو فى شوق شديد ، لرؤية أخيه بنيامين .

ومنذ أن رآهم يوسف مقبلين ، هش لهم ، واستقبلهم بالبشر والترحاب ، ثم أخذ يصافحهم واحداً واحداً ، فلما صافح أخاه بنيامين ، همس إليه قائلاً : أنا أخوك يوسف ، فلا تخف من شىء ، ومنذ الآن أنت فى أمن وأمان ، لا تخش شيئاً ، ولا يؤلمك ما كانوا قد فعلوه بك من قبل .

قال ابن كثير فى تفسيره : ﴿ وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ ... ﴾ إلخ .

يخبر تعالى عن إخوة يوسف ، لما قدموا على يوسف ، ومعهم أخوه شقيقه بنيامين ، فأدخلهم دار كرامته ، ومنزل ضيافته ، وأفاض عليهم الصلة والإلطف والإحسان ، واختلى بأخيه فأطلعه على شأنه ، وما جرى له ، وعرفه أنه أخوه وقال له : ﴿ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ . أى لا تأسف على ما صنعوا بى ، وأمره بكتمان ذلك عنهم ، والا يطلعهم على ما أطلعه عليه ، من أنه أخوه ، وتواطأ معه أنه سيحتال على أن يبقيه عنده معززا مكرماً .

قال القاضى بياضوى فى تفسيره ﴿ وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ ... ﴾ إلخ .

ضم إليه بنيامين على الطعام أو فى المنزل ، روى أنه أضافهم ، فأجلسهم مثنى مثنى ، فبقى بنيامين وحيداً ، فبكى وقال لو كان أخى يوسف حياً لجلس معى ! فأجلسه

معه على مائدته ، ثم قال : لينزل كل اثنين منكم بيتاً ، وهذا لا ثانى له ، فيكون معى ، فبات عنده وقال له : أحب أن أكون أخاك بدل الهالك ، قال : من يجد أخاً مثلك ، ولكن لم يلدك يعقوب ، ولا راحيل ، فبكى يوسف ، وقام إليه وعانقه وقال : ﴿ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ ﴾ فلا تحزن .

قال الفخر الرازى فى قوله تعالى : ﴿ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ ﴾ فيه قولان :

قال وهب : لم يرد أنه أخوه من النسب ، ولكن أراد به أنى أقوم لك مقام أخيك فى الإناس لثلا تستوحش بالتفرد . . والصحيح ما عليه سائر المفسرين من أنه أراد تعريف النسب ، لأن ذلك أقوى فى إزالة الوحشة وحصول الأئس ، ولأن الأصل فى الكلام الحقيقة ، فلا وجه لصرفه عنها إلى المجاز من غير ضرورة .

يستعدون للرحيل بعد إتمام الكيل

﴿ فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ ﴾

قد أنزل الصديق إخوته نزولاً المكرمين ٣٠
أعطى لهم ما قد أتوا من أجله متكاملين ٣١
أعطى لكلٍ منهمو حملاً فصاروا شاكرين ٣٢
قد جهزوا أوثاقهم برأٍ لطعم الجائعين ٣٣
لم يبقَ إلا أن يعودوا بالغنيمة ظافرين ٣٤

لقد أمر الصديق عماله ومعاونيه ، أن ينزلوا أبناء يعقوب خير منزل ، وأن يكرموا أحسن تكريم ، وأن تُهيأَ لهم إقامة طيبة ، ماداموا في مصر ، إلى أن يرحلوا منها عائدين إلى موطنهم ، حيث يقيم أهلهم . ثم أمر يوسف أن يعطى لكل واحد منهم حمل بعير من البر ، وهذا لعمر الله هو أهم ما جاءوا لأجله ، إنه الطعام .. قوام الحياة .. فلولا طلب الطعام ، لما عرفوا طريقهم إلى مصر ، ولولا مجيئهم مصر ، لما رأوا أخاهم يوسف الصديق ، ولما تم هذا الذي دبر له يوسف !

أولاً : طلب منهم أن يحضروا أخاهم الحادى عشر .

ثانياً : تخيئة صواع الملك في رحل أخيه بنيامين ، توطئة لإبقائه عنده .

ثالثاً : عودتهم بغير بنيامين . رابعاً : اشتداد حزن يعقوب على بنيامين .

خامساً : تجدد أمل يعقوب بأن يوسف لا يزال على قيد الحياة ، فمن ثم يوصى أولاده بالعودة إلى مصر ، وليبحثوا عن يوسف وأخيه ، من غير يأس . هذه كلها أسباب ، أوجدها مسبب الأسباب ، إذ كل حدث له سبب ، وكل سبب يوصل إلى سبب آخر .. وهكذا تتصل الأسباب ، بعضها ببعض ، وفي النهاية ينكشف الغطاء ، وتظهر الحكمة الإلهية ، المطوية في ثنايا الأحداث المؤلمة المتتالية . لسوف تتمخض تلك الأحداث القاسية في منظرها، المرة في وقعها على النفوس عن الآتى :

١ - جمع شمل يعقوب نبي الله على بنيه .

٢ - اعتلاء يوسف الصديق عرش مصر .

٣ - تحقق تأويل رؤيا يوسف بسجود إخوته الأحد عشر وأبيه وأمه .

على كل حال ، لقد انتهى أبناء يعقوب، من الكيل والميزان، ثم جهزوا أوثاقهم من البر واستعدوا للرحيل عائدين فرحين .

تأمر يوسف على أخيه ، لبيقيه عنده

﴿ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيه ... ﴾

لكن يوسف كان من أعماقه سرّ دفين ٣٥
السرّ يعلمه إله العرش ربّ العالمين ٣٦
ينوى بأن يبقى أخاه بحيلة لا تستبين ٣٧
أوحى إلى غلماناه قولاً فصّاروا فاهمين ٣٨
قد غافلوا إخوانه في خفة المتسكّلين ٣٩
في رحل بنيامين قد أخفوا الصواع مخبّئين ٤٠

أبناء يعقوب ، شدوا رحالهم ، وحملوا متاعهم على إبلهم ، وتأهبوا للرحيل ، ولم يبق إلا أن يودعوا العزيز - يوسف - لينطلقوا عائدين إلى الأهل فرحين ، إنهم في أشد الفرحه لسببين اثنين ، الأول : عودتهم بأخيهم بنيامين ، حيث لم يصبه أذى أو سوء ، الثاني : حصولهم على ما يريدون من الطعام ، كل واحد منهم حمل بعير . بينما كان أبناء يعقوب يتأهبون للرحيل ، كان يوسف الصديق قد قرر في نفسه أمراً ، هذا الأمر لم يكن قد أفضى به لأحد قبل ذلك . . ولا يعلمه أحد إلا الله عز وجل .

هذا الأمر هو : أن يوسف يريد استبقاء أخيه بنيامين عنده ، دون أن يكشف لإخوته عن حقيقة شخصيته ، ذلك لأنه يريد أن يضايقهم قدر استطاعته ، بل لعله يستطيع أن يضعهم أمام أبيهم ، في موضع اللوم المر ، والتأنيب القاسي ، والاتهام بسوء النية ، لكونهم أضاعوا بنيامين . فهم قبل ذلك أخذوا يوسف ، ووعدوا أباهم بحفظه ورعايته ، ثم قالوا : أكله الذئب ، وهامهم أولاء هذه المرة قد أخذوا بنيامين ، وأقسموا بأغلظ الأيمان أن يحافظوا عليه ، ولن يصيبه أذى أو سوء ما دام فيهم عين تطرف ، بيد أنهم لم يبروا بقسمهم ، ولم يوفوا بعهدهم . . إذن فهي مؤامرة على الشيخ ، وعلى ولديه : يوسف وبنيامين . لقد أمر يوسف غلماناه ، أن يدسوا صواع الملك في رحل بنيامين ، وذلك خفية بحيث لا يشعر بهم أحد . . وفعلاً لقد قام غلمان يوسف بتنفيذ أمر يوسف .

لقد اغتتموا فرصة انشغال إخوة يوسف ، ببعض الأمور الهامة ، قبيل رحيلهم ، فدسوا صواع الملك في رحل بنيامين .

والآن لم يبق إلا المفاجأة المذهلة ، حيث ينادى المنادى بأن شيئاً هاماً قد فقد ومن ثم تبدأ مشكلة جديدة لم تكن في حساب أحد من أبناء يعقوب .

المنادى يقول لكل القوافل: إنكم سارقون

﴿ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَتَتْهَا الْغَيْرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ﴾ (٧٠)

إخوانُ يوسفَ قد تنادوا للرحيلِ مبادرين ٤١
وإذا المنادى فى الوفودِ وصوته كالمنذرين ٤٢
نادى على كلِّ القوافلِ قائلاً : يا سارقين ٤٣
لا ترحلوا حتى نراكم باحثين ونستبين ٤٤
شيئاً ثميناً قد فقدنا ، فاعلموا العلمَ اليقين ٤٥

لم يبق أمام أبناء يعقوب الآن إلا أن يرحلوا، لقدودعوا العزيز وشكروه على حسن استقباله لهم، وعلى تزويدهم بأوثاق الطعام . وفعلوا، لقد تنادوا . الرحيل الرحيل . وإذا المنادى ينادى بصوت جهورى، يسمعه القاصى والدانى . المنادى يقول: أيها الوفود الوافدة! أيها الرجال! اسمعوا وعوا، لقد فقدنا شيئاً ثميناً، انتظروا جميعاً، لا ترحلوا المكان، لابد أن نجد هذا الشيء الذى فقدناه، وإن لم نجد فسوف يكون لنا معكم موقف آخر، قد لا ترضونه ! لا يرحل أحد منكم ، لسوف نبحث عن هذا الشيء حتى نجد ، هذا الشيء الذى فقدناه، هو خاص بالملك، وتالله لو علم الملك بفقده، فسوف يغضب غضباً لا مزيد عليه، وقد يترتب على هذا الغضب أشياء خطيرة . وهكذا لقد قذف رجال يوسف الوفود بتهمة السرقة .

قال الأستاذ عبد الكريم الخطيب فى « القصص القرآنى » : وفى المناذاة عليهم بهذا النداء ﴿ أَتَتْهَا الْغَيْرُ ﴾ دون المناذاة عليهم بالنداء « أيها الركب أو يا أصحاب العير » فى هذا دعوة لهم إلى أن يتوقفوا عن المسير، لأن العير هى المنظور إليها ، عند هذا النداء ، وأن عليها أن تقف . . ولهذا حسن مخاطبتها ، لأنها هى المطلوبة أولاً ، فإذا وقفت كان للمنادين شأنهم مع راكبيها ، ولهذا فإنه ما إن صدر النداء « أيتها العير » حتى توقفت بفعل أصحابها ، وما إن توقفت حتى توجه الخطاب إلى أصحابها ﴿ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ﴾ .

قال القاضى بىضاوى فى تفسيره : ﴿ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ ﴾ نادى سناد ﴿ أَتَتْهَا الْغَيْرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ﴾ لعله لم يقله بأمر يوسف ﷺ ، أو كان تحبته السقاية والنداء برضى بنيامين ، وقيل : معناه إنكم لسارقون يوسف من أبيه، أو إنكم لسارقون، العير : القافلة، وهو اسم الإبل التى عليها الأحمال .

أبناء يعقوب يتسألون : ماذا تفقدون ؟!

﴿ قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقَدُونَ ﴾ (٧١)

إخوان يوسف ساءهم ، قول المنادي المستهين ٤٦
قالوا له : ماذا تريد ؟! تساؤل المستفهمين ٤٧
ماذا فقدتُم ! أخبرونا ..! ولتكونوا صادقين ٤٨
لا ، لا تسيئوا الظن فينا ، لا تكونوا مفتريين ٤٩

صوت المنادي صك أسماع الناس جميعاً ، قاصيهم ودانيهم ، ولا غرو فالنداء لكل الوفود ، من كل أنحاء الأرض ، لأجل الميرة . لقد كان وقع هذا الخبر سيئاً ، على أسماعهم ونفوسهم .. فالمنادي يقول: ﴿ أَيُّهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ﴾ لقد صاروا جميعاً يتساءلون فيما بينهم ، ما هو الشيء المسروق ؟! ثم من ذا الذي عساه أن تسول له نفسه ، فيسرق شيئاً قل أوجل ، ومن ؟! من الرجل الذي يمد يده للجميع بما فيه قوام حياتهم ؟! هذا لعمر الله - إن صح - يعتبر جحوداً ، وإنكاراً للجميل ، ومقابلة الحسنة بالسبئية .

بعد أن بلغ صوت المنادي ، كل الوفود التي كانت قد تهيأت للرحيل ، ومنهم أبناء يعقوب ، أناخ الجميع إبلهم وأنزلوا أمتعتهم من على ظهور الإبل ، انتظاركاً للتعليمات التي سوف تعقب هذا النداء . فمن المؤكد أن أمراً ما سوف يصدره العزيز ، وهذا الأمر له علاقة بالشيء المسروق ، وهذا الأمر سيكون على الأقل ، إرجاء رحيل الوفود الآن .

بيد أن الجميع اتجهوا نحو المنادي ومن معه ، فسألوهم قائلين : ﴿ ... مَاذَا تَفْقَدُونَ ﴾ ؟! أخبرونا ، أى شيء فقدتموه ؟! أخبرونا بالصدق ، فنداؤكم هذا قد أساء لنا جميعاً ، ويبدو أن المتسائلين كانوا هم أبناء يعقوب .. ثم أردفوا قائلين : ليس من المعقول ، أن يرتكب هذه الحماقة أحد من كل الوافدين ، أهكذا يكون ردّ الجميل ؟! هذا لا يمكن أن يقبله عقل مطلقاً . وقبل أن يجيب المنادي على تساؤل السائلين ، كان الهمس بين رجال الوفود قد أخذ شكل العلانية ، لابد أن شيئاً هاماً فقدته القوم ، إذن فلا بد أن يجده حتى يأذنوا للوفود بالرحيل .. وإذا لم يجده ، فلا بد أن إجراء ما سوف يتخذونه حيال هذا التصرف السيء من قبل الوفود .

المفقود صواع الملك ، ونعطي حمل بعير لمن يجيء به

﴿ قَالُوا نَفَقْدُ صَوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴾ (٧٢)

قالوا : فَقَدْنَا غَالِيًا ، فلذا غَدُونَا سَائِلِينَ ٥٠
 ذَاكُم صَوَاعَ لِلْمَلِكِ ، وإنه شَيْءٌ ثَمِينٌ ٥١
 مَنْ رَدَّهْ ، فَلَسَوْفَ نَشْكُرُهُ بِأَسْلُوبٍ مُبِينٍ ٥٢
 وَيَسْأَلُ أَيْضًا حِمْلَ بَرٍّ فَوْقَ حِمْلِ الْوَافِدِينَ ٥٣
 وَلَسَوْفَ نُوَفِّي ، لَنْ نَكُونَ لِمَا وَعَدْنَا جَا حِدِينَ ٥٤

لقد تلكأ المنادى فى الإجابة على السؤال الذى سألوه عن نوع الشيء المسروق ..
 وقد كان بلا شك تلكؤاً مقصوداً ، وذلك ليلقى فى روع السامعين خطورة هذا الأمر .

ولا غرو فقد كان هذا المنادى هو أحد الذين شاركوا فى تنفيذ خطة إخفاء الصواع فى رحل بنيامين . ثم تكرر السؤال للمنادى ! أخبرونا ، ماذا فقدتم ؟! فأجاب قائلاً : إن الشيء الذى فقدناه ، هو إحدى التحف الثمينة التى يعتز بها الملك .. يالله !! إن الإجابة على تساؤل المستأهلين ، كانت إجابة مدروسة ، أعدت بحكمة وإتقان .. ذلك لأنها أضافت إلى الأمر هولاً وخطورة .. ولم لا ؟! فالشيء المسروق خاص بالملك نفسه .

لقد أسقط فى أيدى القوم ، فتهامسوا فيما بينهم قائلين : مادام الأمر يتعلق بالملك فلا بد أن يكون العقاب صارماً ، ولا ندرى ما هو بالتأكيد . ثم أردف المنادى قائلاً بعد أن أفصح عن نوع الشيء المسروق : إننا لا نبغى أن نشق عليكم ، فالذى أخذ صواع الملك ، فليرده إلينا قبل أن نتخذ أى إجراء جزائى ، وللعلم فمن يرده إلينا قبل أن نتخذ إجراء جزائياً ، فسوف نكافئه على هذا ، ولن نعتبره سارقاً ، بل سوف نعطيه حمل بعير من البر ، وسوف ننظر إليه على أنه رجل أمين .

قال الأستاذ عبد الكريم الخطيب فى كتابه « القصص القرآنى » : ﴿ قَالُوا نَفَقْدُ صَوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴾ إن الذى يفقدونه ، ويتممون الركب بسرقة ، هو صواع الملك ، وهو السقاية التى هى القدح الذى يشرب فيه الملك شرابه ، وأن من جاء بهذا المسروق ، قبل أن ينكشف أمر السارق ، فإن له جزاء هذا حمل بعير ، وإن هذا الحمل فى ضمانه رئيس الجماعة المنتدبة للبحث عن صواع الملك ، فهو بهذا الوعد زعيم ، أى كفيل به وضامن له .

أبناء يعقوب يتبرأون من تهمة السرقة

﴿ قَالُوا تَاللّٰهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ﴾ (٧٣)

قَالُوا لَهُمْ : تَاللّٰهِ مَا كُنَّا جَمِيعًا مَفْسِدِينَ ٥٥
نَحْنُ الْكَرَامُ بَنُو الْكَرَامِ مِنَ الْجُدُودِ الْأُولَى ٥٦
أَفَمَا عَلِمْتُمْ أَنَّنَا مِنْ آلِ بَيْتِ الْمَرْسُكِينَ ؟! ٥٧
لَسْنَا بِحَمْدِ اللَّهِ خُورَانًا ، وَلَسْنَا سَارِقِينَ ٥٨

لقد أجاب أبناء يعقوب ، فنفوا عن أنفسهم تهمة السرقة بكل قوة وحزم ، فقالوا لأعوان يوسف : نحن أبعد ما نكون عن هذه التهمة ، لعدة أسباب :

أولها : نحن أبناء نبي الله يعقوب بن اسحاق نبي الله ، بن إبراهيم خليل الله ، أى أننا سلالة آباء كرام ، ومن ثم فلا يمكن أن ننزل إلى حضيض السلوك الإنساني ، فنلوث شرفنا ، ونسئ إلى عرقنا وتاريخنا ، وبارتكاب هذه الجريمة القذرة .

ثانيها : وذلك دليل على صدق ما نقول : إنا رددنا البضاعة التي وجدناها في رحالنا ، رددناها بعد أن وصلنا إلى بلادنا في الشام ولم يكن أحد منكم يعلم عنها شيئاً ، وإنما رددناها لأننا أمتنا لا نقبل ولا نأخذ ما ليس لنا .

ثالثها : لقد قلنا للعزير : إن لنا أخاً تركناه عند أبيه كي يسليه ويؤنسه في وحدته أثناء غيبتنا ، فقال لنا : هاتوه معكم لكي أراه . فأحضرناه معنا ، فمن ثم تبين العزيز صدق قولنا . . « ومن كان الصدق منهجه ، فلا يمكن أن يكون سارقاً » .

رابعها : أن العزيز قد أنزلنا منزلاً حسناً ، وأكرمنا غاية الإكرام ، ولم يكن هذا عبثاً ، فهو قد علم بفراسسته وفطنته ، أننا أهل للتكريم ، فأمر بإكرامنا .

قال القرطبي في تفسيره ﴿ قَالُوا تَاللّٰهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ ﴾ : يروى أنهم كانوا لا ينزلون على أحد ظلماً ، ولا يرعون زرع أحد ، وأنهم جمعوا على أفواه إبلهم الأكمة لئلا تعبث في زروع الناس ، ثم قال : ﴿ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ﴾ يروى أنهم ردوا البضاعة التي كانت في رحالهم . . أى فمن رد ما وجد ، فكيف يكون سارقاً ؟!

وقال القاضي بضاوى فى تفسيره : ﴿ قَالُوا تَاللّٰهِ ﴾ قسم فيه معنى التعجب ، والتاء بدل من الياء ، مختصة باسم الله ﴿ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ﴾ استشهدوا بعلمهم على براءة أنفسهم ، لما عرفوا عنهم فى كرتى مجيئهم ، ومداخلتهم للملك ، مما يدل على فرط أمانتهم ، كرد البضاعة التى جعلت فى رحالهم وتكلم الدواب لثلا تتناول زرعاً أو طعاماً لأحد .

يتفقون على عقوبة السارق

﴿ قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ ﴾ (٧٤)

قالوا : فَإِنَّا سَوْفَ نَبْحَثُ فِي الرِّحَالِ مَفْتِشِينَ ٥٩
إِذْ مَا وَجَدْنَا صَاعَنَا فِي رَحْلِ أَحَدِ الْوَاقِدِينَ ٦٠
مَاذَا يَكُونُ جَزَاؤُهُ ؟! فَلْتَحْكُمُوا الْحُكْمَ الْأَمِينَ ٦١

قال عمال يوسف الصديق ، المكلفون بالبحث عن الصواع المسروق : ﴿ قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ ؟! ﴾ . أى أنتم ترفضون هذا الاتهام ، وتفنون عن أنفسكم نفيًا قاطعًا ، فى حين أننا نؤكد لكم أن صواع الملك قد فقد . وفى الوقت نفسه ، لا نزال نقول : من أخذه فليرده ، وبدلاً من أن نوجه له تهمة السرقة ، سوف نشكره ، ونزيده حملاً من البر أيضاً . وما دمت ترفضون هذا الاتهام ، فإننا سوف نقوم بتفتيش الرحال ، بحثاً عن الصواع المفقود . بيد أننا قبل أن نبدأ حملة البحث والتفتيش عن الصواع المفقود ، نريد أن نسألكم سؤالاً واحداً ، ونرجوا أن تجيبوا عنه إجابة واضحة . . !

هذا السؤال هو: ماذا يكون جزاء من وجدنا الصواع فى رحله؟! وقد كان السؤال موجهاً بالدرجة الأولى، لأبناء يعقوب. ذلك لأنهم هم الذين كانوا يتحدثون مع أعوان يوسف، بالأصالة عن أنفسهم ، وبالنسبة عن الآخرين ، لأنهم أكثر عدداً وتوحداً فى الرأى ، لكونهم أخوة أبناء رجل واحد . لقد فوجئ أبناء يعقوب بهذا السؤال ، فهم أبناء يعقوب نبي الله، وبالتالى فهم يحتكمون إلى شريعة . . أما أهل مصر ، فليسوا مثلهم ، فهم يحتكمون إلى قانون وضعى . . فبماذا يجيبون عن سؤال أعوان يوسف بالنسبة لعقوبة السارق؟! هل يحكمون عليه بشرع يعقوب؟! أم بقانون أهل مصر .

قال صاحب كتاب : « تأملات فى سورة يوسف » فى قوله تعالى : ﴿ قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ ﴾ بقصد أخذ الحكم على السارق من أفواه الإخوة ، وذلك كما هو معلوم ، بإيحاء من الله تعالى إلى يوسف ، قال تعالى : ﴿ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ . فإن ذلك يدل على أن هؤلاء السائلين إنما سألوا بإيحاء من يوسف الذى نبههم إلى ضرورة طرح هذا السؤال .

جزاء السارق .. أن يؤخذ بجريمته

﴿ قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وَجَدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴾ (٧٥)

إِخْوَانُ يُوسُفَ قَدْ أَجَابُوا حَيْثُ كَانُوا غَاضِبِينَ ٦٢
هَذِي الرِّحَالُ فَفَتَّشُوهَا ، إِنْ تَشَاءُوا بِأَحْيَيْنَ ٦٣
إِذْ مَا وَجَدْتُمْ صَاعَكُمْ فِي رَحْلِ أَحَدِ السَّامِعِينَ ! ٦٤
فَلْتَأْخُذْهُ بِهِ لَكُمُ يَجْزَى جَزَاءَ الْخَائِنَةِ ٦٥

﴿ قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وَجَدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ ﴾ هكذا كان جواب أبناء يعقوب ، عن سؤال أعوان يوسف الصديق ، حينما قالوا لهم : ﴿ ... فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ ؟ ! ﴾ كانت إجابتهم ممزوجة بغضب وحماس شديدين ، ثم أردفوا قائلين : هيا ، هذه الرحال ففتشوها ، فتشوا كل الأمتعة ، لا تتركوا شيئاً من أمتعة الوافدين دون أن تفتشوه . فإذا ما وجدتم الصواع المفقود الذي تتحدثون عنه ، فى رحل أحد من الوفود ، فخذوه به ، خذوه بجريمته ، فليكن رقيقاً عندكم ، ولن تجدوا أحداً منا يشفع له . . هذا لعمر الله هو شرعنا الذى نحتكم إليه عندنا !! ولا غرو فالسارق خائن ، والخائن ينبغي أن يعاقب على خيانتته ، دوغما عطف أو رحمة . هذه الإجابة من أبناء يعقوب . . هى التى كان ينتظرها يوسف الصديق ، لكى تكتمل الحيلة التى دبرها لاستبقاء أخيه بنيامين عنده .

قال ابن كثير فى تفسيره : ﴿ قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وَجَدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴾ ، وهكذا كانت شريعة إبراهيم ، أن السارق يُدفع إلى المسروق منه . . هذا هو الذى أراد يوسف ﷺ .

وقال الأستاذ عبد الكريم الخطيب فى « القصص القرآنى » : ﴿ قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وَجَدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴾ . أى أن جزاء السارق ، هو أن يؤخذ بجرم ما سرق . . إنه وحده الذى يتحمل وزر ما فعل ، وذلك هو شرعنا الذى ندين به ، فلا تزر وازرة وزر أخرى .

وقال القرطبي فى تفسيره : ﴿ جَزَاؤُهُ مَنْ وَجَدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ ﴾ أى يستعبد ويسترق ﴿ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴾ أى كذلك نفعل فى الظالمين ، إذا سرقوا أن يسترقوا وكان هذا دين يعقوب ﷺ وحكمه .

وقولهم هذا ، قول من لم يسترب نفسه ، لأنهم التزموا استرقاق من وجد فى رحله ، وكان حكم السارق عند أهل مصر ، أن يغرم ضعفى ما أخذ . . قاله الحسن والسدى وغيرهما .

إخراج الصواع من رحل بنيامين

﴿ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ ﴾

٦٦ قد سُرَّ يوسُفُ من إجابَتهم سُرُورَ الفائِزين
 ٦٧ من ثم صار يُفتشُ الأَحْمَالَ تفتيشَ الأَمِينِ
 ٦٨ بدءاً بأمْتعة الكِبَارِ ، لكى يَظْلُوا غَافِلِينَ
 ٦٩ فى رَحْلِ بَنِيَامِينَ كَانَتْ دَهْشَةٌ لِلنَّاظِرِينَ
 ٧٠ وَجَدُوا الصُّوَاعَ مُخْبِئاً فى رَحْلِهِ ، هَذَا يَقِينُ !!

لما سمع يوسف الصديق إجابة إخوته . . وهى تطبيق شرع يعقوب على من سوف يجدون الصواع فى رحله . . وهو أن يؤخذ السارق بجريمته . . فيصير عبداً رقيقاً لمن سرق منه . سر يوسف بهذا ، لقد نجحت حيلته لاستيقاظ أخيه بنيامين عنده !! فمن ثم بدأ هو ورجاله تفتيش الرجال ، وإمعاناً فى تثبيت وترسيخ الحيلة ، فى نفس الجميع ، بدأوا التفتيش فى رحال أبناء يعقوب الكبار ، وذلك لكى لا يراودهم أدنى شك فى الأمر . لقد انتهوا من تفتيش رحال أبناء يعقوب الكبار ، ثم جاءوا بعد ذلك ليفتشوا رحل بنيامين . . ذلك الغلام الذى اختير ليكون كبش الفداء ، فى جريمة لا يدرك من أمرها شيئاً . بدأوا تفتيش رحل بنيامين ، وبعد لحظات من بدء التفتيش ، وقعت المفاجأة التى لم تكن متوقعة . . يالله !! لقد وجدوا الصواع المفقود فى رحل بنيامين . . وذلك أبعد ما يمكن أن يفكر فيه أحد ، أو أن يحوم بتفكيره حوله . . لم يدر بخلد أبناء يعقوب أن أخاهم هذا ، قد يكون سارقاً .

قال القرطبي فى تفسيره ﴿ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ﴾ : إنما بدأ يوسف برحالهم ، لنفى التهمة والريبة من قلوبهم ، إن بدأ بوعاء أخيه ﴿ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ ﴾ يعنى بنيامين ، أى استخرج السقاية أو الصواع .

فلما رأى ذلك إخوته ، نكسوا رؤوسهم ، وظنوا الظنون كلها ، وأقبلوا عليه وقالوا : ويلك يا بنيامين ! ما رأينا كالיום قط ، أمك راحيل ولدت أخوين لصين ، قال لهم أخوهم : والله ما سرقة ، والله ما سرقة ، ولا علم لى بمن وضعه فى متاعى . ويروى أنهم قالوا له : يا بنيامين ! أسرقت ؟ قال لا والله ، قالوا : فمن جعل الصواع فى رحلك ؟! قال : الذى جعل البضاعة فى رحالكم !

يوسف يطبق على أخيه شريعة أبيه

﴿ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ... ﴾

مَنْ أَجَلٍ مَا يَنْبَغِي يُوسُفُ صَارَ كَالْمُتَأَمِّرِينَ ٧١
تِلْكَمُ إِرَادَتُهُ تَلَاَقَتْ مَعَ إِلَهِ الْعَالَمِينَ ٧٢
لَا يَنْبَغِي أَخْذُ الْبَرَى كَأَخْذِ بَعْضِ الْمَجْرِمِينَ ٧٣
لَكِنْ إِذَا شَاءَ الْإِلَهَ ، فَقِفْ وَقُوفَ الْخَاشِعِينَ ٧٤

لقد تصرف يوسف الصديق عليه السلام ، لأجل استبقاء أخيه عنده ، تصرفاً يضع موضع اللوم ، لقد غامر يوسف بهذا التصرف الذى لا يليق بنبي ملة ، لقد ركب الصعب لأجل تحقيق غرضه . إذ لا ينبغي أن يضع أخاه البرى فى صورة السارق المجرم ، مهما كانت الأهداف التى قد تتحقق من وراء هذا العمل . . بيد أن يوسف عليه السلام أقدم على هذا التصرف بتدبيره وإرادته ، ولكنه كان فى الوقت نفسه ، يسير فى فلك المشيئة العليا ، وهل يقع فى كون الله إلا ما شاء الله ؟! إن يوسف عليه السلام أخضع أخاه بهذه التصرف لنظام الرق والعبودية . الرق الذى ضرب عليه هو من قبل ، ودونما ذنب جناه ، وهكذا هو موقف بنيامين أيضاً . ولا غرو فنحن أمام إرادة عليا ومشيئة سامية ، لا نملك إلا أن نحنى رؤوسنا لها ، تسليماً وإجلالاً وتعظيماً .

ذلك لأن تفكيرنا قاصر عن إدراك حقيقة ما هو مخبوء فى ضمير الغيب ، فكيف ما تكون الأحدا المراتبة مستنكرة فى نظر كل من شاهدها ، وذلك لقسوتها بالنسبة لشخص ما ، وهى فى الوقت نفسه تكون سبيلاً لسعادته ورفعته . وهذا ما تمخضت عنه الأحداث ، بالنسبة ليوسف عليه السلام ، أما بالنسبة لبنيامين ، فلا بأس أن يُبتلى بما يكره ، وصولاً إلى ما يكون فيه سعادة الأسرة كلها بحيث يتم جمع شملها بعد التفرق . إن الله عز وجل ، هو مالك الملك ، لا شريك له فى ملكه . . وإذا أراد أمراً أمضاه .

قال القرطبي فى تفسيره: ﴿ دِينَ الْمَلِكِ ﴾ أى سلطانه ، عن ابن عباس ابن عيسى : عادته ، أى يظلم بلا حجة : مجاهد: فى حكمه ؛ وهو استرقاق السراق : ﴿ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ أى إلا بأن يشاء الله ، أن يجعل السقاية فى رحله ، تعلقة وعذراً له ، وقال قتادة : بل كان حكم الملك الضرب والعزم ضعفين ، ولكن شاء الله أن يجرى على الستهم حكم بنى إسرائيل ، على ما تقدم .

يوسف أساء إلى أخيه بتطبيق قانون الملك عليه

﴿اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَأٍ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ (٧٦)﴾

اللَّهُ يَرْفَعُ مَنْ يَشَاءُ إِلَى مَقَامِ الْمُحْسِنِينَ ٧٥
الْعِلْمُ لَيْسَ لَهُ كَبِيرٌ ، فَأَعْلَمُوا الْعِلْمَ الْيَقِينَ ٧٦

الله عز وجل صاحب القوة والجبروت ، يرفع ويخفض ، يعز من يشاء ويذل من يشاء ، ولا ندرى حكمته فى كونه ، وما علمنا مع علم الله سبحانه وتعالى ، إلا كنقطة فى بحر لجى بعيد الغور ، مترامى الاطراف .

- قال الشيخ الصابونى فى « صفوة التفاسير » فى قوله تعالى : ﴿ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَأٍ ﴾ أى نرفع بالعلم منازل من نشاء من عبادنا ، كما رفعنا يوسف ، ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ أى فوق كل عالم من هو أعلم منه ، حتى ينتهى إلى ذى العلم البالغ ، وهو رب العالمين .. قال الحسن : ليس عالم إلا فوقه عالم حتى ينتهى العلم إلى الله ، وقال ابن عباس : الله العليم الخبير فوق كل عالم .

- قال الفخر الرازى فى قوله تعالى : ﴿ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَأٍ ﴾ هو أنه تعالى يريه وجوه الصواب فى بلوغ المراد ، ويخصه بأنواع العلوم ، وأقسام الفضائل ، والمراد هاهنا أنه تعالى رفع درجات يوسف ﷺ على إخوته فى كل شىء .

واعلم أن هذه الآية تدل على أن العلم أشرف المقامات ، وأعلى الدرجات ، لأنه تعالى لما هدى يوسف ﷺ ، إلى هذه الخيلة والفكرة ، مدحه لاجل ذلك فقال تعالى : ﴿ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَأٍ ﴾ وأيضاً وصف إبراهيم ﷺ بقوله : ﴿ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَأٍ ﴾ [الأنعام : ٨٣] عند إirاده ذكر دلائل التوحيد والبراءة عن إلهية الشمس والقمر الكواكب .

ووصف هاهنا يوسف أيضاً بقوله : ﴿ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَأٍ ﴾ لما هداه إلى هذه الخيلة ، وكم بين المرتبتين من التفاوت .. ثم قال تعالى : ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ والمعنى أن إخوة يوسف ﷺ ، كانوا علماء فضلاء ، إلا أن يوسف كان زائداً عليهم فى العلم .

واعلم أن المعتزلة احتجوا بهذه الآية ، على أنه تعالى عالم بذاته لا بالعلم ، فقالوا : لو كان عالماً بالعلم ، لكان ذا علم ، ولو كان كذلك لحصل فوقه عليم ، تمسكاً بعموم هذه

الآية، وهذا باطل . واعلم أن أصحابنا قالوا : دلت سائر الآيات ، على إثبات العلم لله تعالى ، وهى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ﴾ [لقمان : ٣٤] ﴿ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ ﴾ [النساء : ١٦٦] ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] ﴿ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ ﴾ [فصلت : ٤٧] وإذا وقع التعارض ، فنحن نحمل الآية التى تمسك الخصم بها، على واقعة يوسف وإخوته خاصة .

الحراس يقتادون بنيامين بجريمته

قَدْ تَمَّ مَا يَبْغِيهِ يُوسُفُ ، إِنَّهُ كَيْدٌ مَتِينٌ ٧٧
لَكِنَّهُ كَيْدٌ أَصَابَ أَخَاهُ دُونَ الْآخَرِينَ ٧٨
أَخَذُوهُ أَخْذَةً سَارِقٍ ، وَالْكُلُّ كَانُوا نَاطِرِينَ ٧٩
الْكُلُّ يَفْغَرُ فَاهُ دَهْشًا ، إِنَّهُ حَقًّا أَهَيْنٌ ٨٠
إِذْ كُونُ بَنِيَامِينَ يَسْرِقُ ، قَدْ غَدَوْا مُسْتَغْرِبِينَ ٨١

لقد تمت المكيدة التى دبرها يوسف الصديق ، لاستبقاء أخيه بنيامين عنده . . إنها مكيدة تفتق عنها فكر عبقرى . . هو فكر يوسف الصديق ، فهو الذى فكر وخطط ، وقد قام عماله بتنفيذ الفكرة . . فنجحت تمامًا . هذه المكيدة كانت بالنسبة ليوسف الصديق ، هدفًا يرنو إليه ، ومن ثم فنجاحها حقق له أمنية كانت تحيش فى صدره ، وتداعب خياله . هذا بالنسبة ليوسف عليه السلام . . أما بالنسبة لبنيامين ، فقد كانت هذه المكيدة كارثة ، حطمت أو كادت تحطم حياته ، حاضرا ومستقبلاً ! ولم لا ؟! فلقد سبق بنيامين ، كما يساق المجرمون ، أخذه بجريمته ، وقد كان ذلك أمام الجميع . لقد ألجمت الدهشة ألسنة أبناء يعقوب ، وأسقط فى أيديهم ، فلم ينبس أحد منهم ببنت شفة آنذاك . وطبيعى أن السارق حينما يؤخذ بجريمته ، لن يعامل معاملة حسنة ، بيد أن يوسف كان على رأس الفئة الذين قاموا بتفتيش الرجال ، والذين أخرجوا الصواع من رحل بنيامين . . فلم يترك بنيامين للإهانة . . وفى الوقت نفسه لقد كان أعوان يوسف ، هم الذين نفذوا فكرة إخفاء الصواع فى رحل بنيامين ، إذن فهم يعلمون جيداً أن بنيامين ليس سارقاً .

لقد كان لسان حال الجميع ، استبعاد كون بنيامين يسرق . . بيد أنهم رأوا بأعينهم رجال يوسف الصديق ، حينما استخرجوا الصواع من رحل بنيامين ، وبرغم هذا ، فهم فى شك مما رأوا . . لا يكادون يصدقون أعينهم .

تخير أبناء يعقوب أمام هذا الموقف

صَارُوا حَيَارَى ، إِنَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَيَسُؤُوا عَالَمِينَ ٨٢
هُمْ فِي تَحْيِيرِهِمْ وَيُوسُفُ فِي سُرُورٍ ، لَا يَبِينُ ٨٣
إِذْ أَنْ يُوسُفَ كَانَ مَحْزُونًا لِعَشْرَاتِ السِّنِينَ ٨٤
وَبَقَاءُ بَنِيَامِينَ سَوْفَ يَبْدُدُ الْحُزْنَ الدَّفِينِ ٨٥
أَخْوَانُ كَانَا مُبْعَدَيْنِ ، فَاصْبِحَا مُتَقَارِبِينَ ٨٦
رَبَّ السَّمَاءِ هُوَ الْقَدِيرُ ، لِيَجْمَعَ الْمُتَفَرِّقِينَ ٨٧

بعد لحظات من وقوع هذا الحدث الجلل ، الذى اعتبر بنيامين بسببه سارقاً .. صار أبناء يعقوب فى حيرة من أمرهم .. لم يدر بخلد أحدهم أن أخاهم بنيامين ، ربما يكون سارقاً يوماً ما، وتحت أى ظرف من الظروف. وبينما كان أبناء يعقوب فى حيرتهم ، التى شلت تفكيرهم، وقضت على آمالهم التى كانوا يحلمون بها، ألا وهى عودتهم سالمين غامعين لأهلهم، لقد كانوا قبيل وقوع هذا الحدث، يهشون أنفسهم، لأنهم سيعودون لأبيهم، ومعهم الميرة ، وفى الوقت نفسه أوفوا بعهدهم لأبيهم ، فحافظوا على أخيهام بنيامين ، وقد عاد معهم !! بيد أن هذا الحدث حطم آمالهم ، فصاروا ذاهلين من هول المفاجأة .

أقول: بينما هم كانوا فى حيرتهم، يفكرون فى المصيبة التى وقعت بهم، كان يوسف الصديق فى الوقت نفسه ، سعيداً مسروراً .. بيد أنه كان سروراً مكتوماً فى أعماقه .. ولا غرو فلا بأس أن يشعر يوسف بشيء من السعادة والسرور ، فكفاه ما لاقاه من آلام وأحزان فيما مضى، ولا بأس إن يشعر إخوته بشيء من الألم والحزن .. فظالما سُرُوا وسعدوا بتنفيذ خططهم الإجرامية .

إن استبقاء بنيامين، هو جزء من خطة كبيرة، سوف تبدى شيئاً فشيئاً ، كل شيء فى حينه. يالله!! يوسف وبنيامين أخوان لأب وأم، لقد ضربت الأيام ضربتها، ففرقت بينهما لعشرات السنين ، ثم أراد الله لهما باللقاء بعد الفراق .. وإذا أراد الله أمراً أمضاه .

وقد يجمع الله الشيتين بعدما يظنان كل الظن ألا تلاقيا